«يطلقون النار ويبكون»

رولي روزين وايلانه همرمان، **الشعراء لن يكتبوا شعراً: قصص وشهادات**،
تل ـ أبيب: عام عوفيد، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠.

هل من الضروري ان يكتب الشعراء شعراً في زمن الحرب، او الانتفاضة؟ وما هو الشعر الذي يكتبه المحتل عن القمع والاضطهاد والقتل الذي يمارسه ضد الآخر؟ كتاب رولي روزين وايلانه همرمان الوثائقي المدرج اعلاه يطرح هذا السؤال ويجيب عنه على نحو وثائقي.

العودة الى الأدب الوثائقي هو ضرورة ملحّة جداً في الأدب العبري، والادب عموماً. وكل ريبورتاج عبري جديد يحمل، في طياته، بذور الأزمة دائمة الحضور: كيف يكتب أدب في ظل احتلال وانتفاضة؟ هذا السؤال المشروع، الذي طالما أثار اسئلة أخرى تتعلّق به، يعاد طرحه في الكتاب المذكور بشكل أشمل: جنود من الجيش الاسرائيلي يقدّمون شهاداتهم على ما يجرى في المناطق المحتلة. أهمية هذه الشهادات تنبع من انها تتحوّل الى وثيقة تدين ما يجرى، وتدين الفاعل، ولو انها قد لا تقصد الادانة! والاهمية الثانية تشير الى عمق أزمة الادب العبري: الريبورتاج هو القادر على التجاوب مع الواقع أكثر من الادب «المفبرك» في معظمه. لذا نرى ان أي ريبورتاج عبري قادر على نقل رسالة أكثر من أي رواية، أو قصيدة؛ وذلك لأمر بسيط جداً هو قدرة استجابة الريبورتاج للوضع الطارىء والتأزّم المترتّب على ذلك. على أي حال، نقاش أهمية الريبورتاج وتفضيله على الادب قضية أخرى تقع خارج اطار هذه المراجعة، ويبقى الكتاب هو محور النقاش.

نقطة البداية

لقد استطاع دافيد غروسمان في ريبورتاجه الممتاز «الزمن الاصفر» ان يضع اصبعه على أكثر أزمات الاحتلال خطورة: لاانسانية المحتل، وما يترتّب على ذلك من أمور أخرى لا تقل أهمية. بريبورتاجه المذكور، استطاع غروسمان ان يسجّل مدى خطورة ما يجرى في المناطق المحتلة، وكل ذلك كان قبيل انفجار الانتفاضة المباركة. ومع ان ريبورتاج غروسمان كان قابلاً للنقاش في بعض المواضيع، الّا ان اللمسات الانسانية التي اضفاها الكاتب على الريبورتاج رفعت من قيمته؛ كما ان وثائقيته وحرارته حالتا دون تناسيه، ولو بعد مرور هذه الفترة، اضافة الى انه، الى حدّ ما، استشعر اقتراب الانتفاضة. هذه الامور جعلت من ريبورتاج غروسمان بمثابة وثيقة دامغة ضد الاحتلال. وبعد هذه الوثيقة، تتالت محاولات أخرى للسير على هدى غروسمان؛ لكن تلك المحاولات بدت باهتة. فما الجديد الذي يقدّمه هذا الكتاب الجديد؟

الجديد الذي يقدّمه الكتاب هو انه مكتوب في سنوات الانتفاضة. وبمعنى من المعاني هو يقدّم الفعل والفاعل، ولا يسبق الفعل كما حدث لريبورتاج غروسمان. هذا من ناحية؛ أمّا من الناحية الاخرى، فلقد حاولت الصحفية رولي روزين ان تحاور العديد من الجنود المشاركين في قمع الانتفاضة ليسكبوا ما لديهم من أزمات، الى درجة ان الكتاب بدا كوسيلة تفريغ لأزمات الجنود الاسرائيليين أكثر ممّا هو وثيقة ادانة. والسؤال الذي يظل يتردّد: هل هذا هو الذي كنّا ننتظره؟ وأين الجنود رافضو الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة؟ وما هو تأثير صوت كبير كصوت يشعياهو ليفوفيتش في الضمير الاسرائيلي؟